

البيوتات العربية في المغرب الأوسط وإسهاماتها في الدعوة الإسماعيلية قبيل 296هـ/909م "البيت الحمدوني أنموذجا"

محمد بن عربة/جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية/قسنطينة.

benarbamohamed.alfatih@yahoo.com

د/ أسماعيل سامعي/ جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية/قسنطينة.

عنوان المقال:

ملخص:

يكتسي موضوع الدعوة الإسماعيلية وقيام الخلافة الفاطمية أهمية كبرى في الدراسات التاريخية المتعلقة بمجال المغرب الأوسط، بسبب تداعيات هذا الحدث على الأحوال السياسية والمذهبية في المجالات المغاربية عامة، والمغرب أوسطية منه على وجه الخصوص، ورغم ما تحظى به هذه الفترة حاليا من اهتمامات الباحثين، إلا أنها لا تزال قاصرة بسبب حجمها وطريقة معالجتها، إذ هي بحاجة إلى تفكيك جزئياتها والتنقيب والتعريف بجميع الفواعل فيها، مع الرجوع ومقارنة مختلف النصوص الإخبارية التي أشارت إليها وتحدثت عنها، ومن هنا أدرجنا مداخلتنا في محاولة لتسليط الضوء على العنصر العربي في الدعوة ومدا إسهاماته فيها مع اتخاذ "البيت الحمدوني" كعينة عن ذلك .

الكلمات المفتاحية: التشيع - الدعوة الإسماعيلية - البيوتات العربية - المغرب الأوسط - بني حمدون.

Abstract

The subject of the Ismailia da'wa and the establishment of the Fatimid Caliphate Is of great importance in the historical studies of the central Maghreb, Because of the repercussions of this event on political and sectarian conditions In the Maghreb, and the central Maghreb in particular, Although this period is currently of interest to researchers, But it is still limited due to its size, perspective and method of treatment, As it needs to dismantle the particles and exploration and the definition of all the fruits in them, With reference and comparison of the various news texts that I mentioned and talked about, From this came our intervention in an attempt to shed light on the Arab element in the call and the extent of its contributions to it with the adoption of ' the family Al- Hamdouni' as a sample and a model for that .

مقدمة:

شهدت بلاد المغرب الإسلامي مع نهاية القرن الثالث هجري / التاسع ميلادي، تحولا كبيرا في الحياة السياسية وثورة في الحياة المذهبية، وهذا ناتج عن قيام وتوسع الخلافة الفاطمية وظهورها كأول خلافة شيعية متخذة من الإسماعيلية نحلة لها، ومن بلاد المغرب مقرا لها، ومن بربر كتامة عصبية لها، وتأتى لها ذلك بعد نضج الدعوة الإسماعيلية وتحولها من السرية إلى العلنية، وخروجها من السلمية إلى العمليات العسكرية، حيث بدأت تتساقط المدن والحواضر، ومعها الإمارات والدول، وبالرغم من الأهمية الكبرى للبيئة والتركيبة الكتامية في الدعوة والتحضير لقيام الدولة إلا أن هذا لا ينقص من حجم وقيمة

المشاركة العربية فيها، والتي كانت سبابة في نضالها سواء على أرض المغرب الأدنى وحتى المغرب الأوسط، ونخص هنا بالذكر بيت "ال حمدون"، الذين ظهر منهم الدعاة والقادة والولاة والمعروفين بخدماهم وإسهامهم في مرحلتي الدعوة والدولة .

أولا :البيت الحمدوني - الأصول المشرقية والإستقرار في البيئة الأندلسية -

تنسب أسرة بني حمدون إلى قبيلة جذام¹ فهم من عرب الجنوب القحطانيين، ورغم أن هذه الأسرة قد سطع نجمها وعظم دورها على أرض المغرب الإسلامي وبالتحديد المغرب الأوسط منه، إلا أن المصادر التي أرخت لها دأبت على وصف هذه العائلة با "الأندلسية"، وهذا راجع إلى أن بداية استقرارهم بالمغرب كان في الأندلس وجدهم عبد الحميد كان أول المقيمين فيها، وفي هذا الشأن يقول المؤرخ الأندلسي ابن حيان في أحداث سنة 360هـ/971م نقلا عن الوراق " أن جعفر وأخاه هذين الهارين إلى وطن جدهما بالأندلس هما ابنا علي ابن حمدون بن سملك بن سعيد بن إبراهيم ... بن أحمد بن عبد الحميد الجذامي، وعبد الحميد هذا ... كان الداخلى إلى بلاد الأندلس من الشام وأرضه ... "2، كما ترجم لهذه الأسرة صاحب كتاب " المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب" فذكر نسبهم على النحو التالي: "علي بن حمدون بن سماك بن مسعود بن منصور الجذامي "3، وقد استقر جدهم الأول عبد الحميد بالأندلس بكورة البيرة⁴ بقرية... من قرى قلعة يحصب"⁵، وهنا لا بد لنا من الإشارة إلى صمت المصادر التاريخية حول تاريخ هجرته، إلا أنه يحتمل أنها كانت في حدود سنة 123هـ/741م وهذا مع طالعة الشاميين⁶، فمن المعلوم أن هذا الجيش قد ضم أعدادا كبيرة من قبيلة جذام العربية، كما سكتت المصادر عن حياة أبنائه وأحفاده إلى غاية حمدون الذي كان حيا إلى غاية سنة 287 هـ/901م والذي عرفت الأسرة بنسبتها إليه .

ثانيا: أبي عبد الله محمد بن حمدون الأندلسي صاحب الدعوة

ذكرت المصادر التاريخية التي أرخت للدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب وقيام الخلافة الفاطمية على أنه كان للأسرة الحمدونية أدوارا عديدة لعبتها في مرحلتي الدعوة و الدولة، غير أنها قد وقعت في خلط كبير في أسماء وأعداد هذه الأسرة ممن أسهموا في الدعوة، ومن خلال الرجوع إلى ماتوفر منها بفرعيها المغربي والأندلسي وتحليلها ومقارنتها يمكن التوصل إلى نتيجة مفادها وجود شخصين من هذه الأسرة يرجح أنهما أخوين، ساهم كل واحد منهما في خدمة الدعوة أحدهما: هو أبو عبد الله محمد بن حمدون المعروف بأبي عبد الله الأندلسي⁷، والذي تنتهي أخباره قبيل نهاية القرن الثالث هجري / التاسع ميلادي، وثانيهما أخوه علي بن حمدون وهذا الأخير هو أشهر أفراد الأسرة الحمدونية في المصادر التاريخية وحتى الدراسات الحديثة بسبب استمرار إنجازاته إلى مرحلة الدولة، كما أنه خلف ذرية قامت بدور كبير في حركة الصراع بين الأمويين في الأندلس والفاطميين في بلاد المغرب⁸.

تعتبر رواية "افتتاح الدعوة" لصاحبها القاضي النعمان أول رواية إسماعيلية رسمية تحدثت عن نشاط البيت الحمدوني كبيت عربي نشط في المغرب الأوسط بهدف نشر التشيع وإقامة دولة الفواطم، وجاء الحديث عن هذا البيت وأول وكبير دعائه وهو أبو عبد الله محمد بن حمدون الأندلسي في معرض حديثه عن دخول الداعية أبا عبد الله الشيعي⁹ أرض المغرب الأوسط بمحاذاة بلاد كتامة والتقى فيها بدعاة من بينهم: " موسى أبي المفتش وأبو القاسم الوفرجومي وأبو عبد الله الأندلسي"¹⁰، وكان هذا اللقاء سنة 280هـ/893م، وقد أعطى القاضي النعمان وصفا موجزا لكنه دقيق عن أحوال ومؤهلات ومهنة أبي عبد الله الأندلسي الحمدوني فقال عنه أنه كان له: " فهم وحدة ومعرفة، وكان معلما بالموضع، ثم أوطنه، وصار إلى درجة العلماء فيه وتشيع"¹¹.

إن هذه المعلومات تعد قرائن ودلائل تؤكد على أن أبا عبد الله الأندلسي كان من كبار دعاة الإسماعيلية في بلاد المغرب الأوسط، حيث تولى أمور الدعوة في المجالات الكتامية قبيل دخول أبي عبد الله الشيعي إليها ، وانتظم في مهنة التعليم والتي من خلالها نشر التشيع في مؤسسات تلك الفترة من عمر الدعوة ومنها المسجد¹² الذي كان موجودا في مقر إقامته وبيته الذي يسكن فيه، إذ لم تكن في تلك الفترة قد ظهرت مجالس الحكمة¹³ بعد، أما عن تشييعه وارتباطه بالإسماعيلية فقد سكتت المصادر عن ذلك، وهذا الصمت حول الدعوة هو أمر شائع خلال تلك المرحلة المتقدمة من عمر الدعوة، ليس فقط في المغرب الإسلامي بل في مشرقه، حيث إن سرية نشاطات الدعوة كان سببها الخوف من وقوع أصحابها وكتبهم في أيدي أعدائهم، لكننا نرجح أنه كان تلقى ذلك من الداعية الإسماعيلي الحلواني وهذا ما ذهب إليه عبد الرحمن ابن خلدون حيث قال عنه أنه: "أدرك الحلواني وأخذ عنه"¹⁴.

إن جل المصادر ذكرت أن الداعية الحلواني بدأ نشاطه في بلاد المغرب إبتداءً من سنة 145هـ/762م نقلا عن الإفتتاح، إلا أنه يمكن التحفظ على هذه الراوية بالرغم من اعتماد العديد من المصادر عليها وهذا لعدة قرائن وأسباب نذكر منها :

- إن هذه المرحلة جد متقدمة بالنسبة لدعوة خاصة كالإسماعيلية لم تكن نشأت بعد، أو لحركة شيعية عامة سرية في بلاد المغرب، إذ أن المتعارف عليه هو أن السليمانيين والأدارسة الحسينيين هم أول من دعوا إلى إقامة حركات سياسية علوية في بلاد المغرب¹⁵.

- ربط هذه الدعوة بشخص جعفر الصادق(ت148هـ/765م)¹⁶ هو محاولة لإبراز مرجعية وإعطاء شرعية لحركة جديدة، والمعروف عن جعفر الصادق تركه للسياسة وعدم

خروجه على حكام عصره وتمسكه بالسنة، التي نقلها إلى تلامذته الذين أصبحوا من كبار علماء جماعة أهل السنة بعد¹⁷ .

- مناقضة القاضي النعمان لراويته حول إرسال الدعوة سنة 145هـ/762م، إذ أنه يذكر في مواضع عديدة عن كتابيين إلتقوا بالحلواني كما التقوا بالداعية الصنعاني¹⁸ ، ومن العرب أبا عبد الله محمد بن حمدون، وهذا مالا يمكن تقبله بحكم أن الفترة ما بين الدعوة الأولى والدعوة الثانية أكثر من 130 سنة .

وكان الحلواني في مهمته هذه قد دخل إلى أرض المغرب الأوسط و: " وصل إلى سوجمار¹⁹ . فنزل منه موضعا يقال له الناظور²⁰ ، فبنى مسجدا، وتزوج امرأة، واشترى عبدا وأمة، وكان في العبادة والفضل والعلم علما في موضعه، فاشتهر به ذكره، وضرب الناس من القبائل إليه، وتشيع كثير منهم على يده من كتامة، ونفزة، وسماتة²¹ .. " والنشاطات الواسعة والهادفة له هي التي مكنته من تجنيد بعض الشخصيات المهمة ذات الثقل في المنطقة على غرار الوفد الذي أستضافه الداعية أبو عبد الله الشيعي سنة 280هـ/893م²² وبالتالي فإن أبا عبد الله محمد بن حمدون الأندلسي هو ثمار هذا الجهد، حيث أصبح وريثا ووصيا على الدعوة بعد وفاة الحلواني وحافظ على دوره، فكان رابطة وصل بين مرحلتي الدعوة التي قام بنشرها أبو سفيان والحلواني، وبين ما يدعوا إليه أبي عبد الله الشيعي، وأصبح مخضرمًا عاش بين عصرين : عصر التمهيد وعصر التمكين ، ويرجح أنه هو الذي أرسل إلى القيادة باليمن خبر وفاة الداعيتين .

ورغم سكوت المصادر عن العلاقة بين الداعية الحلواني والبيت الحمدوني في هذه الفترة المتقدمة من عمر الدعوة، إلا أنها تفصل في أحداث الفترة اللاحقة والتي برزت فيها مكانة آل حمدون في الدعوة الإسماعيلية، وتعاطمت ابتداء من سنة 280هـ/893م

تاريخ بداية الدعوة الجديدة أو "مرحلة البذر" على أرض المغرب الأوسط، بدليل التقاء أبي عبد الله محمد بن حمدون الأندلسي بالداعية أبي عبد الله الشيعي أول دخوله أرض المغرب الأوسط، وكان مبيت الداعية أبي عبد الله الصنعاني عند أبي عبد الله الأندلسي تلك الليلة، فحدثه الداعي عن مهمته وكشف له الأمر وهذا من طقوس الدعوة وتعاليمها، ومن المحتمل أنه في تلك الليلة قد يكون أطلع الداعية أبي عبد الله الشيعي عما وصلت إليه إنجازات الدعوة في عهد الحلواني، كما أعلمه بأحداث المنطقة وتطوراتها ومكان القوة والضعف فيها، وكما كان لأبي عبد الله بن حمدون السبق في اعتناق المذهب واحتضان كبير دعائه، ومعرفته وضيافته والاطلاع على سره، فإنه كان له السبق أيضا في مرافقته فيما بعد وحمل السلاح معه ضد أعدائه في البلاد الكتامية، حيث أن أبا عبد الله الأندلسي هاجر موطنه رفقة الداعي إلى عمق أراضي كتامة واستقر معه فيها، ورغم أن الداعية أبا عبد الله الشيعي كان مهياً تهيئاً كبيراً من طرف قيادة الدعوة ومحاطاً بجميع تفاصيل وأسرار البلاد المرسل إليها وهذا من تقاليد الدعوة الإسماعيلية، حيث أنه كان يشترط في الداعية أو حجة الجزيرة²³ المرسل إليها أن يكون: "عارفاً بمذاهب أهلها وبعلمهم وطباعهم وما يميلون إليه ويرغبون فيه من العمل وبأفهامهم حتى يمكنه المناظرة معهم ويقبلون منه العلم"²⁴، إلا أنه لا يستبعد أن يكون عبد الله محمد بن حمدون قد أطلع الداعية أبو عبد الله الشيعي على تقارير وتفاصيل جديدة عن تطورات الدعوة ومجالاتها ومعالم وطباع أهلها، خصوصا بعد وفاة أصحاب الحرث (أبو سفيان - الحلواني)، بدليل أن الداعي لما دخل البلاد سأل سؤالا غير متوقع وقال: "أي موضع منكم فجع يسمى فجع الأخيار"²⁵ فانداهشت الصحبة الكتامية التي كانت معه ذلك لأنها لم تتحدث عن هذا المكان أمامه قط.

وقد استمر عبد الله محمد بن حمدون في تنشيط حركة الدعوة في البلاد الكتامية واستقطاب خاصتها وعوامها، وشارك في الحروب التي كانت مشتعلة بين الكتاميين المعارضين للمشروع الجديد والمؤيدين له، وقد برز بقوة في أحداث سنة 289هـ / 901م، حيث تسارعت كتامة المعارضة لدعوة أبي عبد الله الشيعي إلى محاصرة دار المحجرة²⁶، فكان على رأس الذين رأوا بإخفاء الداعية الصنعاني خوفاً عليه من القتل أثناء النزال، لكن الداعية شكر حرصهم وسعيهم وأكد على تمام أمره وظهوره على أعدائه، وبين أن ما يحدث هو امتحان يميز فيه أصحابه من أعدائه، بعدها تحرك مباشرة و" أبو عبد الله الأندلسي قائماً على قدميه ابتهاجا بما سمع من ذلك ورأى من المؤمنين، فقال: لقد ثبت أمر الله فيكم كما ثبتت هذه في هذا - وأوماً إلى أذنه ورأسه -، والله لو قابلتهم هذه الجبال - وأشار إليها - ، بهذه النيات لأنزلتموها"²⁷ ثم بدأ في "تجهيز الجيش مما تمتلكه قبيلة غشمان"²⁸ .

كانت تلك المعركة من أهم معارك الجماعة الإسماعيلية مرحلة الدعوة ، والتي قضوا فيها على شوكة كتامة المعارضة، وقد أبلى فيها محمد بن حمدون الأندلسي بلاء كبيراً مفجراً كل طاقاته القيادية والحربية، ولم يتوقف نشاطه عند هذا الحد فمن المعلوم أن الداعية أبا عبد الله الشيعي لما اتسع مجال نفوذه وسلمت القبائل له، وتساقطت المدن في يده بعد تلك المعركة بدأ في تعيين الدعاة²⁹ ومن بينهم عبد الله محمد بن حمدون، فمن غير المعقول أن يستنجد الداعي في شرح دعوته وإدخال من تبقى من كتامة في أمره بدعاة جدد حديثي العهد بالتشيع، ويستغني عن خدمات من كانت له سابقة في الدعوة واشتهر فيها بالفهم والمصابرة والعلم والمثابرة، غير أن هذه الشخصية تنقطع أخبارها تماماً في مراحل متأخرة من عمر الدعوة، ليشارك مع أبي عبد الله محمد بن حمدون عنصر آخر من الأسرة في خدمة الفاطميين وهو أخوه علي بن حمدون .

ثالثا: علي بن حمدون سفير الدعوة وكبير رجال الدولة

إن الشخصية الثانية في هذه العائلة صلة بالدعوة الإسماعيلية هو علي بن حمدون، والذي تذكر المصادر التاريخية أن أول اتصال له مع الفاطميين يرجع إلى حدود سنة 287هـ/901م، حيث قام حمدون رفقة ابنه ثعلبة والمسمى عند ابن خلدون "بأبي ضبيعة"³⁰، الذي تحول اسمه فيما بعد إلى علي³¹، بالخروج من الأندلس بقصد الحج ونزلا ببلاد المغرب الأوسط وفي مضارب كتامة، وهناك تزوج عليا من امرأة كتامية تدعى ميمونة بنت علاهم الجيمي³²، وأورد صاحب كتاب المقتبس أن عليا هذا كان قد إلتقى بالداعية أبي عبد الله الشيعي "الذي استهواه وغلب على قلبه ودخل في مذهبه"³³ غير أنه مشكوك في هذه الرواية التي تقول بتشيع علي بن حمدون بهذه الطريقة، وهذا لعدة أسباب منها:

- صلة هذه العائلة بالتشيع وعراققتها في المغرب الأوسط وعلى رأسهم أبو عبد الله محمد بن حمدون، والذي كان يباشر الدعوة منذ بدايتها، حيث نزل أبا عبد الله الشيعي في بيته كما أنه كان من بين اللذين تلقوا التشيع على يد الداعية الحلواني .
- إن المرتحل من بلاد الأندلس إلى الحج في مسيره لايمكن أن يهمل مناطق التواصل البحرية في المغرب الأوسط، و يدخل في أعماق كتامة ويتوغل فيها وهذا بسبب صعوبتها ووعورتها وبعد الموانئ عنها .
- كانت منطقة كتامة خلال هذه الفترة تعرف حربا أهلية بين كتامة المؤيدة للمشروع الشيعي وكتامة المعارضة له هذا من جهة، ومن جهة أخرى كانت قبيلة كتامة قد دخلت في صراع مع السلطة الأغلبية، فمن المستحيل أن يجازف الحجاج الأندلسيين في رحلتهم بالدخول إلى هذه المناطق والتي بدأت تميل فيها الكفة تدريجيا للمشروع الشيعي .

وبالتالي فإن انتقاله إلى بلاد المغرب في تلك المنطقة (كتامة) منها وفي ذلك التاريخ (287هـ/901م) لم يكن مصادفة بل هو عمل مدبر من قبل ومخطط له لسبيين:

الأول : تنامي الدعوة وانتشار أخبارها وتحول بلاد كتامة إلى بيئة حاضنة للأفراد والجماعات الباحثة عن التشيع .

الثاني : لا يستبعد أن انتقلهم إلى مجالت كتامة كان بمراسلة من قريتهم أبي عبد الله محمد بن حمدون، والذي كان وتدا من أوتاد الدعوة وعنصر فاعلا فيها، والذي كان إلى غاية 287هـ/901م لا يزال حيا .

ورغم أن المصادر سكتت عن دور كبير هذه الأسرة حمدون الذي هاجر إلى المغرب، إلا أنها تحدثنا عن ابنه علي، والذي آزر الدعوة منذ وطأت قدماه أرض المغرب الأوسط، وكان أحد كبار ولاة الأقاليم لدى الفاطميين في مرحلة الدولة، وقد أسندت إليه قيادة الدعوة قبيل عام 296هـ/909م مهام خطيرة خارج أرض المغرب الأوسط، أبرزها سفارته إلى عبيد الله المهدي أثناء رحلته إلى بلاد المغرب وهروبه من العباسيين، وفي هذا الشأن يذكر عبد الرحمن ابن خلدون أنه " اتصل بعبيد الله وأبي القاسم بالمشرق قبل شأن الدعوة، وبعثوه من طرابلس إلى عبيد الله الشيعي، فأحسن اللقاء والانصراف

34

إن هذه السفارة تؤكد على مدى الحظوة والثقة التي تمتع بها علي بن حمدون من طرف الخليفة الفاطمي وداعيته أبو عبد الله الشيعي، كما أنها تؤكد خبرة واحترافية علي بن حمدون في عمله وولائه لسيدته، ويكشف لنا صاحب كتاب العبر على أنه كان مع عبيد الله في سجنه بسجلماسة³⁵، ورغم أن رواية عبد الرحمن ابن خلدون يصعب قبولها كونها لم تشر إليها المصادر الإسماعيلية المتقدمة، ولا رواية صاحب سيرة جعفر الحاجب³⁶ الذي كان في تلك الرحلة، إلا أنه من المرجح أن علي بن حمدون كان من

ضمن أفراد تلك الرحلة وأشتغل فيها سفيرا وجاسوسا وناقلا للأخبار، وما يستدل به حول ذلك هو أن عبيد الله المهدي³⁷ بعد قيام دولته قربه واستعمله في السفارة و" أرسل به إلى المشرق في بعض ما ترسل الملوك فيه، فأحكم له شأنه وقدم، فازداد حظوة لديه

3811

خاتمة:

- مثل المغرب الأوسط خلال القرن الثالث هجري / التاسع ميلادي أحد أهم المجالات الجاذبة للحركات السياسية والدعوات المذهبية، والتي سعت كل منها إلى الاعتماد على العصبية البربرية لبناء دول خاصة بها.
- أدركت القيادة الإسماعيلية في سلمية أهمية المجال المغرب الأوسط كبيئة حاضنة للدعوة المذهبية خاصة الشيعية منها فعمدت إلى إرسال الدعوة إليها .
- من نتائج نشاط الدعوة الأوائل في مجال المغرب الأوسط تكوين العديد من الدعوة والقيادات البربرية والعربية التي ستلعب دورا كبيرا في التأسيس لخلافة الفواطم .
- ظهور أهمية البيوتات العربية في الدعوة الإسماعيلية بتولي محمد بن حمدون الأندلسي مهمة الحفاظ على موروث الدعوة إلى غاية مجيء صاحب البذر.
- كان لنشاط الداعية العالم محمد بن حمدون الأندلسي دورا كبيرا في تشييع العديد من العناصر الكتامية القيادية، وشحنها بفكرة المهمة الكبرى التي تنتظرها.
- انضمام فرد آخر من أفراد أسرة آل حمدون إلى المجال السياسي للدعوة في بلاد كتامة ابتداء من سنة 287هـ / 901م، جعل هذه الأسرة تتعاضم أدوارها وإسهامها، وتتحول تدريجيا من العمل الدعوي المحض إلى التخصص في ميدان السياسة، حيث كان علي بن حمدون على رأس العديد من السفارات في مرحلة الدعوة، ليشغل بعد قيام الدولة سفيرا لعبيد الله المهدي في بلاد المشرق، وتسند إليه فيما بعد بناء وحكم حاضرة المسيلة على أرض المغرب الأوسط ، وهذا مكافأة ومكسب سياسي كبير تحصلت عليه

هذه الأسرة من طرف الخليفة الفاطمي الأول نظير الجهود الكبرى التي بذلتها في نشر الدعوة والحفظ على أمن الدولة واستقرارها .

- يمكن اعتبار البيت الحمدوني بيت مغرب أوسطي، ذلك أن ذروة نشاط هذه الأسرة خلال العصر الوسيط كان على أرض المغرب الأوسط وهذا قبل سنة 280هـ/893م، واستمر إلى غاية 260هـ / 873م أي بأكثر من 80 سنة .

الهوامش:

1 جذام: قبيلة عربية من قبائل اليمن، وهم بنو جذام، وهو عمرو بن عددي بن الحارث ابن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وهم أول من سكن مصر من العرب، حيث دخلوها رفقة الصحابي الجليل الفاتح عمرو بن العاص رضي الله عنه، وكان أول حضور لهاته القبيلة في الأندلس عبر اشتراكها في حركة الفتوحات الإسلامية حيث استقر أفرادها وبطونها في كل من: شدونة، تدمير، اشبيلية، كورة البيرة . ينظر: علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تح - تع: عبد السلام محمد هارون، ج2، ط5، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1982، ص - ص: 419 - 422 .

2 أبي مروان حيان ابن خلف، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، شرح: صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2006، ص: 22 .

3 عبيد الله البكري، المسالك والممالك - الجزء الخاص ببلاد المغرب -، تح: زينب الهكاري- تق: أحمد عزراوي، السحب، الرباط، المغرب الأقصى، 2012، ص: 148 .

4 البيرة: وتسمى أيضا بيليرة، لبيرة، وهي أعظم كور الأندلس، وكانت تدعى في القدم بقسطيلية، نزلها وعمرها جند دمشق، وكان لها من الشهرة والعمارة، وأهلها من الثروة والعد، وبها من الفقهاء والعلماء ما هو مشهور. وفحصها مستطيل، وعدد قراها مائتين وسبعون قرية، وأعظم مدنها غرناطة، ينظر: أبي عبد الله محمد لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تق - مر - تع : بوزياني الدراجي، ج1، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص - ص: 181-171 . مؤلف مجهول، جغرافية وتاريخ الأندلس، تح: عبد القادر بوباوية، مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والبحوث، الجزائر، 2013، ص - ص: 163 - 165 . علي بن سعيد

- المغربي، المغرب في حلى المغرب، تح - تع: شوقي ضيف، ط4، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1995، ص - ص: 91 - 122 .
- 5 ابن حيان، المصدر السابق، ص: 22 .
- 6 محمد اليعلاوي، بلاط بني حمدون بالمسيلة من خلال شعر ابن هانئ الأندلسي، ع 24، مجلة الأصاله، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1984، ص: 49 .
- 7 يسميه عبد الرحمن ابن خلدون "محمد بن حمدون بن سماك الأندلسي" . أنظر: عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط: خليل شحادة - مر: سهيل زكار، ج4، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2000، ص: 42.
- 8 عن دور هاته الأسرة في حركة الصراع ما بين الأمويين والفاطميين. أنظر: أبي مروان حيان ابن خلف، المصدر السابق، ص - ص: 22-27 . نحلة شهاب أحمد، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2009، ص - ص: 122 - 138 .
- 9 الداعية أبو عبد الله الشيعي: هو أبي عبد الله بن الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعي، أشتهر بالصنعاني كما أشتهر بالختسب والمشرقي، كان صاحب علم وفهم وذكاء، تلقى علوم الدعوة من ابن حوشب في اليمن، زمن هناك بعثوه إلى أرض كتامة بالمغرب الأوسط لنشر الدعوة الإسماعيلية والتحضير لقيام دولة الفواطم، واستطاع أن يقضي على ملك: الأغالبة، وبني رستم، وبني مدرار، توفي مقتولا من طرف الخليفة عبيد الله المهدي سنة 298هـ/911م . ينظر تقي الدين المقرئ، المقفى الكبير، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987، ص: 25. شمس الدين ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، مج2، دار صادر، بيروت، لبنان، ص: 192 . علي حسني الخربوطلي، أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، مصر، 1972.
- 10 القاضي النعمان ابن حيون المغربي، افتتاح الدعوة، تح: فرحات الدشاوي، ط2، الشركة الوطنية للتوزيع، تونس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1968، ص: 40 .
- 11 نفسه، ص: 42 .

12 كان المسجد أحد أهم المؤسسات التي اعتمد عليها دعاة الإسماعيلية الأوائل في بلاد المغرب في نشر دعوتهم وهذا قبيل ظهور مجالس الدعوة، وكان أحد هاته المساجد هو الذي تم بناءه في المغرب الأوسط بالقرب من الحدود الشرقية للمجالات الكتامية بعيدا عن أعين السلطة الأغلبية المتمركزة في كل من ميلة و سطيف، وهذا المسجد هو للداعية الحلواني . أنظر: القاضي النعمان، نفسه ، ص - ص: 26 - 29 .

13 مجالس الحكمة: تسمية تطلق على تقليد التعليم الذي وضعه الإسماعيليون، كانت هاته المجالس في صورتها الأولى تسمى "بمجالس الدعوة"، و مؤسسها الأول هو الداعية أبي عبد الله الشيعي: "الذي تجرد بنفسه لهاته المجالس، وكان يجلس في كل يوم للمؤمنين يحدّثهم ويشرح لهم ، وأمر الدعاة بذلك"، وكانت مخصصة لصالح المستجيبين الجدد، ثم تطورت هاته المجالس بعد قيام الدولة ، وأصبحت برامجها تتعلق "بعلم الباطن" حيث تخرج منها كبار الدعاة ، ومن أهم من جلس للتدريس في هاته المجالس في الطور المغاربي من عمر الخلافة الفاطمية: القاضي النعمان ابن حيون المغربي، والخليفة المعز لدين الله الفاطمي، أما في الطور الشرقي فإن هاته المجالس تحولت في أشكالها، وتعددت في برامجها والعلوم المتداولة فيها، ومن أهم من جلس للتدريس فيها: الخليفة الحاكم بأمر الله، داعي الدعاة المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي. أنظر: فرهاد دفتري، معجم التاريخ الإسماعيلي، تر: سيف الدين القصير ، ط1، دار الساقى - معهد الدراسات الإسماعيلية، بيروت، لبنان - لندن، بريطانيا، 2016، ص: 252. فيرينا كليم، مذكرات رسالة العلامة الإسماعيلي رجل الدولة والشاعر المؤيد في الدين الشيرازي، تر: شارل شهوان، ط1، دار الساقى - معهد الدراسات الإسماعيلية، بيروت، لبنان- لندن ، بريطانيا، 2005، ص - ص: 142 - 162. المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي، المجالس المؤيدية، تح - تق: مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دت . القاضي النعمان ابن حيون المغربي، المصدر السابق، ص: 146 .

14 عبد الرحمن ابن خلدون، ج4، المصدر السابق، ص: 42. إلا أن عبد الرحمن بن خلدون لم يميز بين محمد بن حمدون وبين علي بن حمدون أخيه ، وعدهما شخصا واحد بل إن له رواية شاذة في تاريخ ابتداء دعوة أبي عبد الله الشيعي حيث يؤرخ لها ابتداء من سنة 288هـ . أنظر: عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ص: 42.

15 عن بذور التشيع ودور العلويين في نشره على أرض المغرب الأوسط . أنظر: إسماعيل سامعي، قضايا تاريخية في تاريخ المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية الجامعية، الجزائر، 2012، ص - ص: 49 - 60 . موسى لقبال ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس هجري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، دت، ص - ص: 205 - 215 .

16 جعفر الصادق: هو جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، لقب بالإمام الصادق وبشيخ بني هاشم ، كان مولده سنة 80هـ بالمدينة المنورة، وأمّه هي أم فروة و ترجع بنسبها إلى خليفة المسلمين أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، حدث عن أبيه وعن مجموعة من تابعي المدينة ، كان مخضرمًا حيث عاصر الخلفائين: الأموية والعباسية، عرف عنه حكمته وسداد رأيه وابتعاده عن السياسة حيث انه لم يشارك في الثورات العلوية ضد الخلفائين بل على العكس فقد كان مهتمًا بتدعيم الحياة العلمية والرد على الرافضة والزنادقة وقد تتلمذ علي يديه كبار علماء الأمة من أمثال الإمام مالك بن أنس والإمام أبي حنيفة. أنظر: شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط - حسين الأسد، ج6، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1982، ص - ص: 255 - 270 . مجموعة من المؤلفين، قلاع العقل - دراسات إسماعيلية وإسلامية تكريمًا لفرهارد دفتري -، تحرير: عمر علي - دي - أوتناغا، تر: سيف الدين القصير، دار الساقى - معهد الدراسات الإسماعيلية ، بيروت، لبنان - لندن، بريطانيا، ط1، 2014، ص - ص: 101 - 123.

17 قال عنه ابن حبان أنه: " كان من سادات أهل البيت ففقهها علما وفضلا، وقد اعتبرت حديثه من الثقات عنه، فرأيت أحاديثه مستقيمة ليس فيها شيء يخالف حديث الأثبات، ومن المحال أن يلزق به ما جنت يدا غيره" وترجم له الذهبي وذكر أن الإمام أبو حنيفة الذي درس على يديه سنتين قال عنه: "ما رأيت أفقه منه، وقد دخلني له من الهيبة ما لم يدخلني للمنصور" . أنظر: محمد بن حبان، تقريب الثقات، تح: خليل بن مأمون سيخا، ط1، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2007، ص: 310. شمس الدين الذهبي، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تق - تع : محمد عوامة ، تخ: أحمد محمد نمر الخطيب، ج1، ط1، دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن، جدة، المملكة العربية السعودية، 1992، ص: 295 .

18 ذكر القاضي النعمان العديد من الشخصيات الكتابية وحتى العربية والتي عاصرت وشهدت كل من الدعوتين نذكر منها: أبو عبد الله أبو حيون المعروف بأبي المفتش، أفلح بن هارون الملوسي، زوجة يحيى بن يوسف والمعروف بابن الأصم الإحائي، أم موسى بنت الحلواني، أنظر: القاضي النعمان ابن حيون المغربي، المصدر السابق، ص: 30، 131، 132 .

19 سوجمار: وردت في المصادر بالصيغ التالية: سوف جمار، صوف جمار، سوق حماد، سوق حمار، لم تحدد المصادر المتقدمة موضعها لها، إلا أن الجغرافي المتأخر ليون الإفريقي أورد مصطلح سوفغمار وقال أنه أحد الأودية التابعة لقسنطينة، لكن يستبعد هذا الرأي بسبب أن القاضي النعمان ذكر أن سوجمار هي الأرض الكبرى التي حوت الناظور وابتعتبر أن الناظور حاليا تتبع ولاية قالمة فبالثالي فإن سوجمار لا تبعد كثيرا عن قالمة . الحسن الوزان، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي - محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص: 55 . القاضي النعمان، المصدر السابق، ص: 29 .

20 الناظور: أشار إليها الإدريسي وذكر أنها حصن وجعل موقعه بين بجاية وقلعة بني حماد وهذا أمر مستبعد بسبب أن هذا الموقع بعيد كل عن المواضع التي دخلها الداعية الصنعاني وانتشرت دعوته فيها، في حين أن دعوة الحلواني وأبي سفيان كانت بين حدود افريقية ومتاخمة للبلاد الكتابية غربا، و المرجح هو ما ذهب إليه موسى لقبال أنها توجد بالقرب من قالمة في اتجاه سوق أهراس، وهو ما ذهب إليه أيضا محمد الطالبي بأنها تقع في قالمة بالقرب من سوق أهراس وأنه تواجد بها قديما منجم للزنك. الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، دت، ص: 262 . موسى لقبال، المرجع السابق، ص: 221 . محمد الطالبي، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي (184 - 296 هـ / 800 - 909 م) تع: المنجي الصيادي - مر - تد: حمادي الساحلي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1995، ص: 654 .

21 سماتة: قبيلة بربرية من فروع قبيلة نفاوارة كانت مواطنها جنوب افريقية وامتدت إلى أرض المغرب الأوسط، وقد سكن الكثير منها في قسنطينة، ولها فروع في المغرب الأقصى، وكانت الدعوة الشيعية في بلاد المغرب الأوسط أول ما ظهرت كانت في بلادهم المجاورة لكتامة حيث اعتنق الكثير منهم التشيع . عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص: 156 . عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، ج1، المطبعة الملكية، الرباط، المملكة المغربية، 1968، ص: 307 . ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب

العرب، تح - تع: عبد السلام محمد هارون، ج2، ط5، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1982، ص: 497 .

22 محمد فياض، قيام الدولة الفاطمية- حركة التشيع الإسماعيلي وأثرها على تطور المشروع الشيعي -، ط1، دار العالم العربي، القاهرة، مصر، 2014، ص: 126 .

23 حجة الجزيرة: رتبة من مراتب الدعوة الإسماعيلية الهرمية تأتي في المرتبة الثانية بعد داعي الدعوة (الباب) ، وقد كانت مهمة الحجة في جزيرته والإقليم العامل عليه تتمثل في: "الحكم في ترتيب المراتب وارتضاء الآراء والإعتقادات على موازنة الخلق وإظهار تأويل الكتاب " ، وقد كان لبلاد المغرب أو كما تسمى في أدبيات الدعوة الإسماعيلية "جزيرة البربر" وحجتها هو الداعية أبو عبد الله الشيعي، والذي كان عمله في بلاد المغرب يعتبر ذروة النشاط الإسماعيلي في مرحلة الدعوة، وقد عاصره في الدعوة مجموعة من الدعاة في باقي الأقاليم المتبقية وهي إحدى عشرة من أصل اثنا عشرة نذكر منهم: ابن حوشب: بلاد اليمن ، حمدان قرمط : جنوب العراق أبو حاتم الرازي: الري وإقليم الجبال، النسفي: بلاد خراسان وما وراء النهرالداعي أحمد حميد الكرمانى، راحة العقل، تح :مصطفى غالب، ط2، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1983، ص: 252 .
فرهاد دفترى، مختصر تاريخ الإسماعيلين، تر: سيف الدين القصير، ط3، دار المدى للثقافة والنشر، بغداد، العراق، 2010، ص - ص: 84 - 89.

24 أحمد بن إبراهيم النيسابوري، استتار الإمام عليه السلام وتفرق الدعاة في الجزائر لطلبه، نشر: إيفانوف، ع4، مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، 1936، ص: 153 .

25 عماد الدين الداعي إدريس، عيون الأخبار - تاريخ الخلفاء الفاطميين -، تح: محمد اليعلاوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985، ص: 88.

26 دار المحجرة: تعد أحد أهم حواضر لجماعة الإسماعيلية ببلاد المغرب الأوسط مرحلة الدعوة، وتسميتها هي مدينة تازروت أو تاصورت كما عند صاحب سير الأئمة وأخبارهم، ومعناها في اللسان البربري "الصخرة الكبيرة" ، وكانت في مرحلة الدعوة تقع في عمق مجالات قبيلة غشمان، وقد أكسب الداعي انتقاله إليها وتحويلها إلى دار هجرة استياء وحقد فروع كتامة المعارضة له والتي أعدت لحملة كبرى بغرض تدمير المدينة والقضاء على الدعوة إلا أن الجماعة الإسماعيلية الساكنة فيها والمتحصنة بما قد استطاعت الانتصار، هذا الأمر أدى إلى استقرار الداعي فيها لمدة حيث بنى فيها

- قصرا وأقطع لأنصاره للسكن فيها . القاضي النعمان ابن حيون المغربي، المصدر السابق، ص - ص: 86 - 110 . أبي زكريا يحيى بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، تح: إسماعيل العربي، ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص: 165 .
- 27 القاضي النعمان ابن حيون المغربي، المصدر السابق، ص: 102 .
- 28 بوبة مجاني وآخرون، من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2007، ص: 84 .
- 29 القاضي النعمان ابن حيون المغربي، المصدر السابق، ص: 146 .
- 30 عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص: 107 .
- 31 ذكر ابن حيان أن إسمه الحقيقي الذي سماه به أبوه هو ثعلبة، لكن الذي غير اسمه إلى علي هو أبو عبد الله الداعي، حيث نشأت بينهما صحبة ومودة، جعلت علي يتقدم ويرتقي على أقرانه ومن سبقه في في أمور الدعوة. ابن حيان، المصدر السابق، ص: 23 .
- 32 ميمونة بنت علاهم الجيملي: تنتسب ميمونة بنت علاهم الجيملي إلى قبيلة جيملة الكتامية، والتي تعد من أكبر بطون كتامة والتي تعود في نسبها إلى فرع غرسن بن كتم، وقد احتضنت جيملة الدعوة منذ البداية وكانت في عداد وعلى رأس البطون المؤيدة سياسيا للمشروع الإسماعيلي، فالداعية أبي عبد الله الشيعي استقر في أحد فروعها وهم بنوا سكتان إضافة لأن مضاربها تقع في عمق البلاد الكتامية ذات الطبيعة الجبلية والتي تعرقل وصول القوات الأغلبية المعادية . أنظر:
- عبد الرحمن ابن خلدون، ج6، المصدر السابق، ص - ص: 195 - 196 . بوبة مجاني ، دراسات إسماعيلية، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2003 ، ص: 151 .
- 33 ابن حيان، المصدر السابق، ص: 23 .
- 34 عبد الرحمن ابن خلدون، ج4، المصدر السابق، ص: 107 .
- 35 نفسه، ص: 107 .

36 محمد بن محمد اليماني، سيرة الحاجب جعفر بن علي وخروج المهدي صلوات الله عليه وأله الطاهرين من سلمية ووصله إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقادة، مج4، ج2، مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، مصر، 1936، ص - ص: 107-133 .

37 عبيد الله المهدي: لا يزال تحديد نسب عبيد الله المهدي والخلفاء الفاطميين لغزا محيرا بين المؤرخين القدامى وبين الباحثين المعاصرين، بين من ينسبهم إلى سلالة آل البيت من نسل الحسين بن علي رضي الله عنهما، وبين من ينفي ذلك عنهم، إلا أن المتفق عليه حول عبيد الله المهدي أنه من مواليد سلمية بسوريا سنة 260هـ/874م، حيث نشأ بها وتولى إمامة الإسماعيلية فيها، وخرج منقادا بلاد المغرب سنة 289هـ/902م وتربع على عرش الخلافة بقرادة سنة 297هـ/910م في عمر 36 سنة، بنى المهديّة واتخذها عاصمة له سنة 300هـ، جابقت فترة حكمه العديد من الثورات سواء من بطانته التي مهدت لقيام دولته أو من رعاياه المتعديين بين سنة وإباضية وقد نجح في القضاء عليها وافته المنية سنة 322هـ/934م، وهو يعتبر أحد أهم الشخصيات المؤثرة في التاريخ الإسلامي. عن نسبه وحياته أنظر: تقي الدين المقرئ، اتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلفاء، تح - تع: جمال الدين الشيال، ط1، منشورات الحمل، بيروت، لبنان، 2016، ص - ص: 47 - 128. فرهاد دفترى، معجم التاريخ الإسماعيلي، المرجع السابق، ص - ص: 267 - 268. تقي الدين المقرئ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تح - تع: جمال الدين الشيال، ط1، منشورات الحمل، بيروت، لبنان، 2016، ص - ص: 47 - 128. هاينتس هالم، إمبراطورية المهدي وصعود الفاطميين (875-973م)، تر: محمد كيبو، ط1، دار الوراق، بغداد، العراق، 2013. حسن إبراهيم حسن - طه أحمد شرف، عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الخلافة الفاطمية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، دت.

38 ابن حيان، المصدر السابق، ص: 23 .